جامعة شيخ أنتا جوب بدكار

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

كلية علوم وتقنيات التربية والتكوين

المعهد الأساسي لإفريقيا السوداء

مجلّة الدّراسات العربيّة والإسلاميّة

مجلة علمية محكّمة تصدر عن
جامعة شيخ أنتا جوب بدكار ~ السّنغال

السّنة الثالثة | العدد الثّالث

ديسمبر 2025

الإيداع القانوني: ISSN 2772-2252

إدارة المجلّة

المدير المسؤول

علي بدرا كانجي

رئيس جامعة شيخ أنتا جوب بدكار

منسّق التحرير

د. عثمان انجوغو تياو

اللجنة الإدارية

د. أبابكر جوب

د. شيخ صمب

د. مصطفى لي

د. جيم درامي

الهيئة العلميّة

أ. د. أبوبكر الذهبي – لبنان

أ. د. أحمد عبد الكافي–الإمارات العربية المتحدة

أ. د. إلياس قويسيم – تونس

أ. د. جيم درامي – السنغال

أ. د. حسن بشير – السودان

أ. د. خالد الكندي – عمان

أ. د. سيدو خما – السنغال

أ. د. شيخ صمب – السنغال

أ. د. صالح انجاي – السّنغال

أ. د. عبد الرحيم برواكي– المغرب

أ. د. عثمان انجوغو تياو – السنغال

أ. د. لقمان يلماز – تركيا

أ. د. محمد مزياني – الجزائر

أ. دة. خلود النازل – العربيّة السّعوديّة

أ. دة. سهيلة سلطاني، الجزائر

أ. دة. عبادة هلال – الأردن

أ. دة. فاطمة سلامة – المغرب

أ. دة. نادية بن العزمية – المغرب

أ. دة. هناء علي – سوريا

الهيئة الاستشاريّة

أ. د. حسن حمزة – فرنسا / قطر

أ. د. حسين تال – السنغال

أ. د. خديم امباكي – السنغال

أ. د. مختار انجاي – السّنغال

أ. د. عليّ بدرا جاني – السّنغال

أ. د. ماغي انجاي – السّنغال

أ. د. مصطفى سوخنا – السّنغال

أ. د. محمد بونا تيميرا – السّنغال

أ. د. يعقوب سيدي – السنغال

أ. دة. آمنة انيانغ جين – السّنغال

أ. د. عبد الستار الهيتي – البحرين

أ. د. أحمد تيجاني جالو – السّنغال

أ. د. قاسم جاخاتي – السنغال

أهداف المجلّة

1. توحيد كلمة الجهات المتخصّصة باللّغة العربية في جامعة دكار خاصّة بأقسامها المختلفة، وتصنيف أعمال الدّارسين والباحثين في الجامعات والمؤسّسات السنغالية عامّة بفروعها العربيّة.
2. نشر الأبحاث العلميّة المحكّمة في اللّغة العربيّة وعلومها وآدابها، وفي الدّراسات الإسلاميّة والحضارة، وفي علوم التّربية ومناهج التّعليم.
3. تمثيل المجلّة مرآة للثّقافة العربيّة الإسلاميّة في غرب إفريقيا ورمزا للعلاقات الجامعيّة بين السّنغال والعالم العربيّ فما وراءه في سبيل التّعاون والتّبادل المشترك.

قواعد النّشر

ترحّب المجلّة بمشاركة الكتّاب الباحثين المتخصّصين، وتقوم بنشر الدّراسات الأصيلة والبحوث الرّصينة، وفقا لقواعد التسليم الآتية:

1. أن يكون البحث مبتكَرا أصيلا لم يُنشرْ سابقًا.
2. ألاّ يتجاوز عدد صفحات البحث 15.
3. أن يلتزم الباحث في كتابة النّص بخطّ (Traditional Arabic) بكثافة 16 في المتن و 12 في الهامش.
4. الهوامش في نهاية الصّفحة: اسم المؤلف، عنوان الكتاب، رقم الطّبعة، مكان النشر، دار النّشر، تاريخ النشر، الصّفحة.
5. المصادر والمراجع في نهاية المقال: اسم المؤلف (اللّقب أولا)، عنوان الكتاب، رقم الطّبعة، مكان النشر، دار النّشر، تاريخ النشر.

6. أن يكون البحث متّسما بالعمق والأصالة وموثَّقا بالمصادر والمراجع، وفق أصول البحث العلميّ المتداوَلة.

7. تخضع المادّة المقدّمة للنّشر للتّحكيم العلميّ على نحو سرّيّ، وتعاد إلى الباحث عند حاجة إجراء التّعديلات اللاّزمة.

8. يمكن للباحث أن يكتب مقالته بالعربيّة أو الفرنسيّة مع تلخيص بإحدى اللّغتين.

9. البحوث المنشورة لا تعبّر عن رأي الجهة النّاشرة.

البريد الإلكتروني للمجلّة:

revue.rais@ucad.edu.sn

فهرس الموضوعات

تقديم	09
حوار المرأة في القرآن وأساليب الإقناع فيه	11
دة. بشرى عبد المجيد تاكفراست، كلّيّة اللّغة العربيّة، جامعة القاضي عياض، مراكش، المغرب	
Le dialogue des femmes dans le Coran et les méthodes de persuasion qu'il contient Bouchra TAKAFRAST, Faculté de Langue Arabe, Université Cadi Ayad de Marrakech, Maroc	
دلالات لفظ "الولي": دراسة في معاجم اللغة وكتب التّفاسير والأعمال الصّوفية..	67
ذ. خادم امباكي شيخنا، جامعة ابن خلدون، إسطنبول، تركيا	
Les significations du terme « *Wali* » : Étude dans les dictionnaires, les livres d'exégèse et les ouvrages soufis Cheikhouna Khadim MBACKÉ, Université Ibn Khaldoun, Istanbul, Turquie	
إسهام كتاب "فتح الباري" لابن حجر العسقلاني في التعريف بصحيح البخاري وفي التنويه به مع الرد على منتقديه	109
د. قاسم جخاتي، قسم اللغة العربية، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة شيخ أنتا جوب بدكار، السّنغال	
La contribution du livre « Fatḥ Al-Bârî » d'Ibn Hajar Al-'Asqalânî dans la présentation et la promotion du *Ṣahih* Al-Bukhari, avec réponse à ses critiques Khassim DIAKHATÉ, Faculté des Lettres et Sciences Humaines, Université Cheikh Anta Diop de Dakar, Sénégal	
الوطن في شعر نزار قباني	147
ذة. ألي انجاي – أ.د. عثمان انجوغو تياو، جامعة شيخ أنتا جوب بدكار، السّنغال	
La *patrie* dans la poésie de Nizar Qabbani Oulèye NDIAYE - Ousmane Ndiogou THIAW, Université Cheikh Anta Diop de Dakar, Sénégal	

193	**كتاب "ألف ليلة وليلة" بين التأثر والتأثير** ..... **د. مطهر يوسف بن ناصر، مؤسسة خبير للاستشارات التربوية، كنو – نيجيريا** **Le livre « Les Mille et Une Nuits » entre influence et impact** Mutahir Yusuf Naasir, Fondation *Khabîr* pour le conseil pédagogique, Kano, Nigéria
219	**أثر اللُّغة العربيَّة في الحفاظ على الثَّقافة الإسلاميَّة في السّنغال** ..... **د. أحمد سيك، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة شيخ أنتا جوب بدكار، السنغال** **L'influence de la langue arabe dans la préservation de la culture islamique au Sénégal** Ameth SECK, Faculté des Lettres et Sciences Humaines, Université Cheikh Anta Diop de Dakar, Sénégal
253	**تدريس القواعد العربية في مناهج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها: صعوبات وحلول.** **د. شيخ صمب، كلية علوم وتكنولوجيا التربية والتكوين، جامعة شيخ أنتا جوب بدكار، السنغال** **Enseignement des règles arabes dans les programmes d'enseignement de la langue arabe aux locuteurs non-natifs : Difficultés et solutions** Cheikh SAMB, Faculté des Sciences et Technologies de l'Education et de la Formation, UCAD, Dakar / Sénégal
279	**الغيبة البحرية وأصداؤها الشعرية في قصائد الرعيل الأول من مريدي الشيخ أحمد بامبا** ..... **د. عبد الأحد لوح، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الشيخ أحمد الخديم / طوبى** ***L'exil maritime* et ses échos poétiques dans les poèmes de la première génération de disciples de Cheikh Ahmad Bamba** Abdoul Ahad LO, Faculté des Études islamiques et arabes, Université Cheikh Ahmadoul Khadim de Touba
309	**النبوة في قصيدة "أستودع الله ربي كعبة الله" للشيخ الحاج مالك سي التواوني (ت.1340هـ/1922م)** .....

	د. سيد جميل انيان، المعهد الأساسي لإفريقيا السوداء – إيفان، جامعة شيخ أنتا جوب بدكار **La *prophétie* dans le poème « Je confie à Dieu mon Seigneur, la Kaaba de Dieu » de Cheikh El Hadj Malick Sy de Tivaouane (1340 H/1922 J.-C.)** Seydi Diamil NIANE, Institut Fondamental d'Afrique Noire (IFAN), Université Cheikh Anta Diop de Dakar, Sénégal
335	**أثر الشعر الجاهلي في الشعر السنغالي العربي (الشيخ أحمد محمد جِيِيْ أنموذجا)**..... د. عمر الفاروق صو، جامعة منيسوتا، فرع السّنغال **L'influence de la poésie antéislamique sur la poésie sénégalaise d'expression arabe (L'exemple de Cheikh Ahmed Mouhamed DIEYE)** Oumar Farouh SOW, Université Minnesota, Section sénégalaise
357	**الشعراء السنغاليون ودعوتهم إلى العلم للنهوض بالمجتمع** ..... ذ. ممد آن، قسم اللغة العربية، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة شيخ أنتا جوب بدكار، السّنغال **Les poètes sénégalais et leur appel à la connaissance pour le progrès de la société** Mamadou HANN, Faculté des Lettres et Sciences Humaines, Université Cheikh Anta Diop de Dakar, Sénégal
391	**دينامية الاستعارة في توسيع آفاق المعنى: مقاربة تأويلية** ..... د. عبد الرحيم برواكي، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، المغرب **La dynamique des métaphores dans l'élargissement des horizons du sens : Une approche herméneutique** Abderrahim BEROUAGUI, Université Moulay Ismaïl de Meknès, Maroc

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم، أفصح العرب والعجم، نبينا محمد بن عبد الله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

يسرّ أقسام اللغة العربية أن يقدّم للقراء والباحثين الكرام العدد الثالث من مجلة الدراسات العربية والإسلامية لجامعة شيخ أنتا جوب بدكار، هذه المجلة العلمية التي تسعى إلى الإسهام في ترسيخ البحث الأكاديمي الرصين في مجالات اللغة العربية وآدابها، والدراسات الإسلامية بمختلف فروعها.

ويأتي هذا العدد مواصلا المسار العلمي الذي انتهجته المجلة منذ صدور عددها الأول، حيث تحرص هيئة التحرير على نشر بحوث أصيلة محكَّمة تتسم بالجدّة والمنهجية العلمية، وتتناول قضايا لغوية وأدبية وفكرية وحضارية تسهم في إثراء المعرفة وتعزيز التواصل العلمي بين الباحثين في العالم العربي والإسلامي وخارجه.

وقد ضمّ هذا العدد مجموعة من الدراسات والبحوث التي أعدّها ثلّة من الباحثين المتخصصين من داخل السنغال وخارجها، تناولت موضوعات متنوعة في مجالات اللسانيات، والنقد الأدبي، والدراسات القرآنية والحديثية، والفكر الإسلامي، والفلسفة العامة، وغيرها من القضايا التي تعكس حيوية البحث العلمي في هذه الحقول المعرفية.

ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتقدم بخالص الشكر والتقدير للباحثين الذين أسهموا بأعمالهم العلمية في هذا العدد، كما نشكر السادة المحكّمين على جهودهم العلمية القيّمة، التي كان لها الأثر الكبير في الارتقاء بمستوى البحوث المنشورة، كما نتوجه بالشكر إلى إدارة الجامعة وكلياتنا المعنية لدعمهم إصدار هذه المجلة.

وإننا نأمل أن يسهم هذا العدد في خدمة البحث العلمي، وأن يكون إضافةً نافعةً للمكتبة العربية والإسلامية، ومنبرًا علميًا يجمع الباحثين ويعزز الحوار المعرفي الرصين.

والله نسأل التوفيق والسداد

المنسق

أ. د. عثمان انجوغو تياو

دلالات لفظ "الولي"

دراسة في معاجم اللغة وكتب التّفاسير والأعمال الصّوفية

خادم امباكي شيخنا، جامعة ابن خلدون – إسطنبول / ترْكيا

ملخص:

هذا البحث عبارة عن استقراء لدلالات لفظ "الوليّ" في أمهات المعاجم والقواميس اللّغويّة، وأمّهات كتب التّفسير والتّصوّف، وتحليلها وتصنيفها إلى معان رئيسيّة، ومن ثمّ المقارنة بين هذه المعاني للوقوف على طبيعة العلاقة بينها. تهدف هذه الدراسة إلى البحث عن مدى صحة بعض المفاهيم المرتبطة بالتّصوّف، مثل الادّعاءات التي تنسبه -بشكل عام- أو بعض جوانبه مثل الولاية -بشكل خاصّ- إلى مصدر أجنبي بعيد عن جذور الشّرع الإسلامي. وقد توصلت الدراسة إلى أنّ المعاني الشّائعة للفظ "ولي" لدى العرب تدور بين القريب والناصر والمحبّ والمدبّر، وأنّ الجمع منه هو "أولياء". كما توضّح الدراسة أيضًا أنّ التّعاريف المتداولة للمصطلحين في كتب التّفسير والأعمال الصّوفيّة تعود جميعها - بشكل مباشر أو غير مباشر- إلى هذه المعاني اللغوية.

كلمات مفتاحية: الولاية، الولي، الكتاب والسّنّة، التّصوّف السنّي.

مدخل:

يعتبر التصوف مجالا شائكاً يثير العديد من الأسئلة والجدل بين الباحثين. وكان من ذلك أن تباينت آراؤهم في أصول التّصوّف؛ فبينما يعتبره البعض جزءا لا يتجزّأ من الدّين الإسلامي يراه آخرون دخيلا لا يمتّ للإسلام بصلة، بل واتّخذوا من زلّات غلاة المتصوّفة ونظريات بعض الصّوفيّة المتأخّرين[1] ذريعة للهجوم على الرّعيل الأوّل من السّادة الصّوفيّة وجعلهم كلّهم في بوتقة واحدة متساوين في الابتداع والضلال. وكان من الطبيعيّ أن يتسرّب هذا الجدل إلى المسائل الجزئية للتصوّف بحكم تبعيّتها للكلّ، فكان الاهتمام الأكبر من نصيب مسألة الولاية التي هي مدار الفكر الصوفي. فأخذوا على الصّوفيّة -كما يزعمون- غلوّهم في مسألة الولاية حتّى قدّسوا أولياءهم ورفعوهم فوق الأنبياء، وجعلهم للوليّ مراتب وخصوصيّات عظمى لا تليق إلّا بالذّات العليّة، وبهذا غيّروا المفهوم الإسلامي للولاية إلى مفهوم آخر خرافيّ لا يمتّ للإسلام بصلة. والصّوفيّة بدورهم دافعوا

[1] أقصد بمتأخرّي الصّوفيّة أولئك الذين عاشوا في الفترة من منتصف القرن الخامس الهجري إلى وقتنا الحاضر.

عن نظريّتهم في الولاية في كتبهم، وردّوا مصطلحاتها إلى الكتاب والسنّة وفصيح كلام العرب؛ فتراهم في تعاريفهم ينطلقون من المعاني اللغويّة إلى المعاني الشّرعيّة ردّا منهم على هذه المزاعم الآنفة الذّكر.

يتتبّع هذا البحث المعاني الواردة للولاية في أمهات المعاجم العربية وكتب التّفاسير المعتمدة، ومن ثمّ المقارنة بينها وبين المعاني الواردة للفظين في الأعمال الصّوفيّة الأوائل للكشف عن طبيعة العلاقة بينها. ويهدف البحث إلى الكشف عن مدى صحّة المزاعم القائلة بوجود مصدر أجنبي (يوناني، عبري، هندي. الخ) للتصوّف ومصطلحاته، وأنّه بدع من الإسلام. ورجعنا في ذلك إلى أقوال ومؤلّفات الرّعيل الأوّل من الصّوفيّة، حيث يعتبرون واضعي النّظريّات والمفاهيم الأساسيّة للتصوّف الإسلاميّ، وعلى آثارهم مشى متأخرو الصّوفيّة السّنّيون.

وقد اعتمدنا في البحث على أمّهات المعاجم اللغويّة التّالية: العين للفراهيدي (ت:170هـ)[2]؛ تهذيب اللغة

[2] الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي (بيروت: دار ومكتبة الهلال).

للأزهـــري (ت: 370هـــ)[3]؛ الصّـــحاح للجـــوهري (ت:393هـــ)[4]؛ مقـــاييس اللغـــة لابـــن فـــارس (ت:395هـــ)[5]؛ المحكـــم لابـــن ســـيده (ت:458هـــ)[6]؛ لســـان العـــرب لابـــن منظـــور (ت:711هـــ)[7]؛ القـــاموس المحـــيط للفيـــروز آبـــادي(ت:817هـــ)[8]؛ بالإضـــافة إلـــى تـــاج العـــروس للزبيـــدي (ت: 1205هـــ)[9]. وفـــي التّفاســـير كـــان اعتمادنـــا الأكبـــر علـــى مفـــاتيح الغيـــب[10] للـــرازي (ت: 606هـــ)، والـــدّرّ المنثـــور

[3]أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م).

[4]أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار (بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٩٨٧ م)

[5]أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (دمشق: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٧٩م).

[6]أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠ م).

[7]أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري، لسان العرب (بيروت: دار صادر، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ).

[8]مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٥ م).

[9]محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: جماعة من المختصين (الكويت: إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، أعوام النشر: ١٩٦٥ / ٢٠٠١ م)

[10]فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠ هـ)

للسيوطي[11]، وجامع البيان للطبري (ت:310هـ)[12]، وتفسير القرءان العظيم لابن كثير (ت:774هـ)[13].كما اعتمدنا في دراسة الأعمال الصّوفية بشكل كبير على أمّهات الكتب الصّوفية؛ كالرّسالة للقشيري (ت:465هـ)[14] والتعرّف للكلاباذي (ت:380ه)[15]، وكشف المحجوب للهجويري (ت:465هـ)[16].

وسيرنا في البحث أن نتناول أوّلا لفظ (وليّ) ونبيّن معانيها الواردة في المعاجم العربية، ومن ثمّ نقف على كلّ معنى من هذه المعاني ونورد التّعريفات المشتقّة منها في أمّهات الكتب الصّوفيّة. وبعد ذلك نورد أقوال المفسّرين في معنى (أولياء الله) عند تفسيرهم لآية سورة

---

[11]جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الدّرّ المنثور في التفسير بالمأثور (بيروت: دار الفكر).

[12]أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، (الجيزة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 2001م).

[13]ابن كثير، تفسير القرءان العظيم (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م).

[14]أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود – الدكتور محمود بن الشريف (القاهرة: دار المعارف).

[15]أبو بكر محمد بن أبي إسحاق الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق: محمد عبد اللطيف الطيب (بيروت: دار الكتب العلمية، 1434هـ).

[16]أبو الحسن علي بن عثمان الهجويري، كشف المحجوب، ترجمة: إسعاد عبد الهادي قنديل (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2007م).

يـونس، ونسـتنبط منهـا مفهـوم الولايـة عنـدهم، ومراتبهـا وخصائصـها، ومـن ثـمّ نتنـاول بإسـهاب مفهـوم الولايـة عنـد الصّـوفيّة، فنقـارن بينـه وبـين مفهومهـا عنـد غيـرهم مـن العلمـاء. كمـا سـنورد بعضـا مـن مسـائل الولايـة المثيـرة للجـدل عنـد الصّـوفية لإبـراز مـدى قربهـا أو بعـدها مـن الكتـاب والسـنّة. وسـننهي البحـث بخاتمـة نـذكر فيهـا أبـرز مـا توصل إليها البحث من نتائج.

1- بين المعنى اللغوي والمعنى الصّوفي:

1.1. معاني لفظ "الوليّ" في المعاجم العربيّة:

الـوَلِيُّ: وزنـه فَعِيـلٌ، بمعْنَـى فاعِـل، وجمعـه: **أوليـاء**: وهـو مـن تَوالَـتْ طاعَتـه مِـن غَيْـرِ تَخَلّـلِ عصِـيْانٍ. أَو بمعْنَـى مَفْعـولٍ: وهـو مـن يَتَـوالَى عَلَيْـهِ إحْسـانُ الله وإفْضـالُه[17]. ومـن هـذا التّعريـف نسـتنتج أنّ لفـظ الـوليّ يطلـق علـى العبـد مـن جهتـين: أوّلا مـن جهـة كونـه محبّـا مطيعـا لله، وثانيـا: مـن جهـة كونـه محـلّا للفضـل والإكـرام الإلهيّـين. وهـذا الوجـه مطـابق تمامـا للمعنـى الاصـطلاحي للّفـظ عنـد القـوم، وسيتّضـح ذلـك أكثـر فـي السـطور القادمـة. والـوليّ أيضـا

[17] انظر: الزبيدي، تاج العروس، 40/ 253.

المـولى[18]، قـال ابـن الأعرابـي: المـولى الجـار والحليـف، والشـريك وابـن الأخـت والـولِيُّ[19]. ومـن ذلـك قـولُ النبـيّ صـلى الله عَلَيْـهِ وَسـلم: "أَيّمَـا امـرأةٍ نَكَحـت بِغَيْـر إذْن مَوْلَاهَـا" (وَرَوَاهُ بَعضـهم وَليّهَـا) لأنّهمـا بِمَعْنـى وَاحِـد. ومنـه قـولُ الله تَعَـالَى: " ذَلِـكَ بِـأَنَّ اللَّهَ مَـوْلَى الَّـذِينَ ءَامَنُـواْ وَأَنَّ الْكَـافِرِينَ لَا مَـوْلَى لَهُـمْ"[20]، أي الْمـولى فِـي الـدِّين والحليـف والنّاصـر. وَمِنْـه قَوْلـه صـلى الله عَلَيْـهِ وَسـلم: "مَـن كُنـت مَـولاه فعلـيّ مـولاه" أَي وليّـه.[21] **والـوليّ**: الَّـذِي يَلِـي عَلَيْـكَ أَمـرك[22]، ومنـه ولـيّ الْيَتِـيم: الَّـذِي يَلِـي أَمـره ويَقُـوم بكِفايتـه. وولـيّ الْمَـرْأَة: الَّـذِي يَلـي عَقْـد النِّكـاح عَلَيْهَـا وَلَا يَـدعها تَسْـتَبِدّ بعَقْـد النِّكـاح دُونـه.[23] وفـي المحكـم: **"الـوَلِيُّ**، الصـديق والنصـير، وقولـه تعـالى: "فتكـون للشـيطان وليـا"[24]، قـال ثعلـب: كـل مـن عبـد شـيئًا مـن دون الله فقـد اتخـذه وليّـا. وقولـه

---

[18] الفراهيدي، كتاب العين، 365/8؛ ابن سيده، المحكم، 458/10.

[19] نفس المرجع السابق.

[20] سورة مُحَمَّد، الآية 11.

[21] انظر: الأزهري، تهذيب اللغة، 323/15-324.

[22] ابن منظور، لسان العرب، 408/15.

[23] الأزهري، تهذيب اللغة، 323/15؛ ابن منظور، لسان العرب، 407/15.

[24] سورة مريم، الآية 45.

تعالى: "الله ولي الذين آمنوا"[25]، قال أبو إسحاق: "الله وليهم في حِجاجِهم وهدايتهم وإقامة البرهان لهم ... ووليُّهم أيضًا في نصرهم على عدوهم وإظهار دينهم على دين مخالفيهم. وقيل: وَلِيُّهم، أي يتولى ثوابهم ومجازاتهم بحسن أعمالهم"[26]. والوليّ أيضا: المحبّ، من والاه إذا أحبّه، قلت: ومنه قوله تعالى في الحديث القدسي، من عادى لي وليّا... الحديث[27]. والوليّ أيضا: المنعِم، والمنعَم عليه[28].

وبعد هذ الجمع لمعاني لفظ (الوليّ) في المعاجم العربيّة يمكننا القول بأنّ لفظ (الوليّ) مفرد (أولياء)، وأنّه إن أطلق على الله سبحانه، فيدور حول معنى النّصير، والمنعِم، والمتصرّف في شئون الخلق، والمحِبّ، والمطاع. وإن أطلق على العبد فيأتي في معان كثيرة يمكن حصرها في: القريب، والمحِبّ، والنّاصر، والمطيع، والمنعَم عليه، والمتصرِّف في الغير. والصّوفيّة

---

[25]البقرة، 257.

[26]راجع: ابن سيده، المحكم، 458/10.

[27]أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح (دمشق: دار ابن كثير / دار اليمامة، الطبعة الخامسة) 382/5.

[28]الزبيدي، تاج العروس، 245/40.

عندما يطلقون لفظ(الولي) فإنّما يريدون به -غالبا- العبد لا المعبود، وبالتّالي فإنّنا في المبحث القادم سنتناول أبرز أقوال الصّوفيّة الأوائل في الوليّ وصفاته، ونناقشها لنرى مدى اندراجها تحت هذه المعاني اللغويّة الآنفة الذّكر.

2.1. أبرز أقوال الصّوفيّة في تعريف الوليّ، والمقارنة بينها وبين المعاني اللغويّة:

المتصدّر لدراسة أصول التّصوّف وتطوّر مصطلحاته لا بدّ أن يرجع في ذلك إلى أعمال الصّوفيّة الأوائل؛ إذ هم أعمدة هذا البناء وأسس هذا العلم. وأمّا المتأخّرون فقد استفادوا من المتقدّمين وأضافوا إلى التّصوّف مسائل أخرى لم يتناولها الأوائل، وبعض هذه المسائل أثارت جدلا كبيرا بين العلماء ما أدّى ببعضهم إلى تكفير القائلين بها. وبالتّالي، فيمكن القول بأنّ التصوّف السّنّي الخالص هو ما تمّ تنظيره في أمّهات كتب القوم كـ (الرّعاية[29]، والرّسالة، والتّعرّف، وكشف المحجوب. الخ). وأيّ دارس للأصول الشّرعية واللّغوية للتصوّف نفسه أو بعض مصطلحاته فلا بدّ أن يرجع إلى

[29] الرّعاية لحقوق الله، للحارث بن أسد المحاسبي (ت:243هـ).

هـذه الكتـب وجـرد مـا فيهـا مـن الكـلام، ثـمّ وزنهـا بميـزان الشّـرع واللغـة. ويؤسـفنا جـدّا أن نـرى فـي زماننـا هـذا بعـض البـاحثين يـردّون أصـول التّصـوّف إلـى التّشـيّع أو إلـى الأفلاطونيّـة الحديثـة والغنوصـية وغيـر ذلـك مـن المـذاهب العقديّـة والفلسـفيّة، وكـلّ ذلـك اسـتنادا إلـى وجـود أوجـه شـبه بـين هـذه المـذاهب وبعـض النّظريّـات الدّخيلـة فـي التّصـوّف عنـد المتـأخّرين، ولـو قـارنوا بينهـا وبـين أقـوال الصّـوفيّة الأوائل لوجدوا بينهما اختلافا كثيرا.

والمتأمّـل فـي مفهـوم الولايـة -ومـا يتعلّـق بهـا- عنـد الصّـوفية يـراه يتشـكّل مـن مـزج بـين المعـاني اللغويّـة والنّصـوص الدّينيّـة الـواردة فـي الأوليـاء وصـفاتهم، بالإضـافة إلـى تجـاربهم الشّخصـيّة الذّوقيّـة. فهـم فـي أغلـب تعـاريفهم ينطلقـون مـن المعنـى اللّغـويّ ثـمّ يتوسّـعون فيـه ويضـيفون إليـه بعـض الجزئيّـات المسـتنبطة مـن الكتـاب والسّـنّة وتجـاربهم الكشـفيّة. وفـي هـذه السّـطور نحـاول ردّ أبـرز أقـوال الصّـوفيّة فـي (الـوليّ) إلـى مـا يناسـبها مـن المعـاني اللغويّـة الآنفـة الـذّكر، وسـيكون اعتمادنـا علـى كتـب

كالرّسالة[30] للقشيري (ت:465هـ) والتعرّف[31] للكلاباذي (ت:380هـ)، وكشف المحجوب[32] للهجويري (ت:465هـ)، باعتبارها من أمّهات كتب الصّوفيّة الأوائل التي تناولت هذا الموضوع. ومن أبرز تعاريفهم للوليّ:

1- يقول القشيري في الرسالة:

فما معنى الوليّ؟ قيل: يحتمل أمرين أحدهما: أَن يَكُون فعيلا مبالغة من الفاعل كالعليم والقدير وغيره، ويكون معناه من توالت طاعته من غَيْر تخلل معصية. ويجوز أَن يَكُون فعيلا بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول وجريح بمعنى مجروح، وَهُوَ الَّذِي يتولى الحق سبحانه حفظه وحراسته عَلَى الإدامة والتوالي فلا يخلق لَهُ الخذلان الَّذِي هُوَ قدرة العصيان وإنما يديم توفيقه الَّذِي هُوَ قدرة الطاعة. قَالَ اللَّه تَعَالَى: "وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ" (الأعراف: 196).[33]

---

[30]أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود – الدكتور محمود بن الشريف (القاهرة: دار المعارف).

[31]أبو بكر محمد بن أبي إسحاق الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق: محمد عبد اللطيف الطيب (بيروت: دار الكتب العلمية، 1434هـ).

[32]أبو الحسن علي بن عثمان الهجويري، كشف المحجوب، ترجمة: إسعاد عبد الهادي قنديل (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2007م).

[33]القشيري، الرسالة، 523/2.

وفي هذين التّعريفين يظهر جليّا ما قرّرناه آنفا؛ حيث أنّهم في التّعريفين دمجوا بين المعاني اللغوية للّفظ وبين معان أخرى مستفادة من الكتاب والسّنّة والكشف. فالتّعريف الأوّل مستفاد من المعنى اللّغوي (المطيع)، والتّعريف الثّاني من المعاني اللّغويّة: (المطيع) و (القريب) و (المنعَم عليه). فكأنهم يقولون: الوليّ هو من لزم طاعة الله حتّى يقرّبه الله منه وينعم عليه بالاستقامة والحفظ. وهذا التّعريف تلخيص دقيق للحديث القدسي السّابق الذّكر: "من عادى لي وليّا. الخ).

2- ويدخل تحت معنى (القريب) و(المطيع) أيضا كلّ من التّعاريف التالية: "قال بعضهم: الْعَارِف هُوَ الَّذِي بذل مجهوده فِيمَا لله وَتحقّق مَعْرفَته بِمَا من الله وَصَحَّ رُجُوعه من الأشياء إِلَى الله. قَالَ الله تَعَالَى: "ترى أَعينهم تفيض من الدمع مِمَّا عرفُوا من الْحق" (المائدة: 83)[34]. وَقَالَ يَحْيَي بْن معاذ فِي صفة الأولياء: هُمْ عباد تسربلوا بالأنس بَعْد المكابدة واعتنقوا الروح بَعْد المجاهدة بوصولهم إِلَى مقام الولاية[35]. وقال أبو يزيد البسطامي:

---

[34] الكلاباذي، التعرّف، 294.

[35] القشيري، الرسالة، 418/2.

الولي هو الصّابر تحت الأمر والنّهي[36]. وقال آخر: الولي هو الفاني في حاله، والباقي في مشاهدة الحقّ، لم يكن له عن نفسه اختيار، ولا مع غير الله قرار[37]. وقيل: علامة الولي ثلاثة: شغله بالله تَعَالَى وفراره إِلَى اللَّه تَعَالَى وهمه إِلَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ[38]. فهذه الأقوال كلّها تصبّ في بيان صفة العبد الذي يصل إلى أعلى مراتب الطّاعة، فيتولّاه الله سبحانه ويقرّبه إلى حضرته ويعرّفه بنفسه، فيصبح عارفا لله فانيا فيه غائبا عما سواه سبحانه، وهذه أعلى مراتب الولاية عند القوم.

3- ويدخل تحت معنى (النّاصر) و (المتصرف في الغير) قولهم: "الولي ريحان اللَّه تَعَالَى فِي الأَرْض يشمه الصديقون فتصل رائحته إِلَى قلوبهم فيشتاقون بِهِ إِلَى مولاهم ويزدادون عبَادَة عَلَى تفاوت أخلاقهم"[39]. فالوليّ هنا وصل إلى مرتبة يكون فيها بمثابة همزة الوصل بين الخالق والخلق، فيجعل الله له نورا يجذب به القلوب إلى المولى عزّ وجلّ، وفي هذا نصرة وعون للخلق على أداء

---

[36] الهجويري، كشف المحجوب، 452/2.

[37] نفس المصدر السابق، 451/2.

[38] القشيري، الرسالة، 419/2.

[39] نفس المرجع السابق.

حقوق العبادة. وقد يقوّي هذا المعنى ما روي عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَغَيْر وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: "أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذُكِر اللَّهُ"[40]. أضف إلى ذلك أنّ كلّ القصص والكرامات الّتي تروى عن الصّوفيّة يمكن أن تفهم من هذا الباب؛ فإنّ الله أكرمهم بالقدرة على نصرة الخلق والتّصرّف في الكون، ويشهد لذلك قوله تعالى في الحديث القدسي: "... وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأعطينَّه، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأعيذنَّه... الحديث"[41]. وفي بعض زيادات الحديث: "وجعلته عبداً ربانياً يقول للشيء: كن، فيكون"[42]. وأورد السّيوطي في الدرّ المنثور كثيرا من الأحاديث الدّائرة حول هذا المعنى، ومنها قوله: "وأَخْرَجَ الطَّبَرانِيُّ في الكَبِيرِ" عَنْ عُبادَةَ بْنِ الصّامِتِ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

---

[40] ابن كثير، تفسير القرءان العظيم (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م) 278/4.

[41] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح (دمشق: دار ابن كثير / دار اليمامة، الطبعة الخامسة) 382/5.

[42] وهذه الزيادة لم تثبت في كتب الحديث، رغم ثبوت معناها عند الصوفية.

«"الأبْـدالُ فـي أُمَّتِـي ثَلاثُـونَ؛ بِهِـمْ تَقُـومُ الأرْضُ، وبِهِـمْ تُمْطَـرُونَ، وبِهِـمْ تُنْصَـرُونَ"». وأخْـرَجَ أحْمَـدُ فـي "الزُّهْـدِ"، والخَـلّالُ فـي "كَرامـاتِ الأوْلِيـاءِ" بِسَـنَدٍ صَـحِيحٍ، عَـنِ ابْـنِ عَبّـاسٍ قـالَ: مـا خَلَـتِ الأرْضُ مِـن بَعْـدِ نُـوحٍ مِـن سَـبْعَةٍ يَـدْفَعُ اللَّهُ بِهِـمْ عَـنْ أهْـلِ الأرْضِ"[43]. وبهـذه الأحاديـث وبعـض الآيـات القرآنيّـة وتجـاربهم الذّوقيّـة أيضـا تمسّـك الصّـوفيّة فـي إثبـات مراتـب الأوليـاء كالقطـب والأوتـاد والأبـدال والنّجبـاء وغيـرهم، وكـلّ هـذا لا يخـرج عـن المعـاني اللّغويـة كما هو ظاهر.

4- وهنـاك تعريفـات أخـرى تـدخل تحـت معنـى (القريـب) و(المحـبّ) و(المـنعم عليـه)، ومنهـا قـولهم: "الـولي هُـوَ الفـاني فِـي حالـه البـاقي فِـي مشـاهدة الحـق سـبحانه، تـولى اللَّه سياسـته فتوالـت عَلَيْـهِ أنـوار التـولي لَـمْ يكـن لَـهُ عَـن نَفْسـه اختيـار ولا مَـعَ غَيْـر اللَّه قـرار"[44]. وقـول الخـراز: "إِذَا أراد اللَّه تَعَـالَى أَن يـوالي عبـدا مـن عبيـده فـتح عَلَيْـهِ بَـاب ذكـره، فَـإِذَا استلذ الـذكر فـتح عَلَيْـهِ بَـاب القـرب، ثُـمَّ رفعـه إِلَـى مجلـس الأنـس بِـهِ، ثُـمَّ أجلسـه عَلَـى كرسـيّ

[43]جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الدّرّ المنثور في التفسير بالمأثور (بيروت: دار الفكر) 765/1.
[44]القشيري، الرسالة، 419/2.

التوحيد، ثُمَّ رفع عَنْهُ الحجب وأدخله دار الفردانية وكشف لَهُ عَنِ الجلال والعظمة، فَإِذَا وقع بصره عَلَى الجلال والعظمة بقي بلا هوى، فحينئذ صار العبد زمنا فانيا، فوقع فِي حفظه سبحانه وبرئ من دعاوي نَفْسه"[45]. فهذه الأقوال تشير إلى علاقة المحبّة والموالاة الّتي تكون بين الربّ بصفته وليّا يتولّى شئون عبده ويكرمه ويرقيه إلى أعلى درجات القرب، وبين العبد بصفته وليّا يفنى في حبّ الله، ويتحرّك ويسكن بالله، فيحفظه الله من الغفلة والزّلّة في الدّنيا، ومن الخوف والحزن في الآخرة.

ومن خلال ما سبق يتّضح وجود علاقة قويّة بين المعاني اللغويّة والمعاني الصّوفيّة للفظي (الوليّ) و (الأولياء)، ويمكننا القول أنّ الصّوفيّة لم يبتدعو للفظين معانيَ جديدة شاذّة عن كلام العرب، بل انطلقوا من المعاني اللغوية وأضافوا إليها المعاني الشّرعية للوصول إلى نظريّة متكاملة في الولاية. وفي المبحث التّالي نرى إلى أي مدى يقرب أو يبعد المفهوم الصّوفي للولاية عن مفهومها لدى علماء الشّريعة، وأقصد بهم علماء التّفسير والحديث الّذين كانوا أوّل من خاض في مسألة الولاية

[45] نفس المرجع السّابق.

عند تفسيرهم لقوله تعالى في سورة يونس: "ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون..." الآيات[46].

2- بين المعنى الشّرعي والمعنى الصّوفي:

1.2. مفهوم لفظ "الوليّ" شرعا:

إذا نظرنا إلى المعاني الشّرعية للفظ نرى بوضوح أنّها لا تبعد عن المعاني اللّغويّة أيضا، بل منها استنبطت؛ لأن أولياء الله كما يقول ابن تيمية (ت: 728هـ) "هم الذين آمنوا به ووالوه، فأحبوا ما يحب، وأبغضوا ما يبغض، ورضوا بما يرضى، وسخطوا بما يسخط، وأمروا بما يأمر، ونهوا عما نهى، وأعطوا لمن يحب أن يعطى، ومنعوا من يحب أن يمنع"[47]. وقيل: إنّ الوليّ هو القريب من عباده، وهو من أسماء الله الحسنى. وجذر الولاية هو الحب والنصرة. فالله -سبحانه- هو وليّ عباده، يحبهم وينصرهم ويهديهم. ويكون هو المسؤول عن ثوابهم وجزائهم في يوم الحساب. قال تعالى: "أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ

---

[46] يونس، 62-64.

[47] تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، (دمشق: مكتبة دار البيان، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م)، ص 8.

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (الشورى: 9). والولاية تتجلى في نوعين: الولاية الخاصة لأولياء الله المتقين، حيث يخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم والإيمان، وينصرهم على أعدائهم، ويصلح أمورهم الدنيوية والدينية. والولاية العامة تشمل الخلق بشكل عام، حيث يتدبّر ويسيّر شؤون الخلق كلهم، سواءً كانوا برًّا أو فاجرين، مؤمنين أو كافرين. والوليّ يكون من البشر، وهو المؤمن التقي، لقوله تعالى: "أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يحزنون"[48]. وعند تفسير هذه الآيات يقول الرّازي في مفاتيح الغيب:

أَمَّا إِنَّ الْوَلِيَ مَنْ هُوَ؟ فَيَدُلُّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَالْخَبَرُ وَالْأَثَرُ وَالْمَعْقُولُ. أَمَّا الْقُرْآنُ، فَهُوَ قَوْلُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ :"الَّذِينَ آمَنُوا وَكانُوا يَتَّقُونَ"، فَقَوْلُهُ: "آمَنُوا" إِشَارَةٌ إِلَى كَمَالِ حَالِ الْقُوَّةِ النَّظَرِيَّةِ، وَقَوْلُهُ: و"كانُوا يَتَّقُونَ" إِشَارَةٌ إِلَى كَمَالِ حَالِ الْقُوَّةِ الْعَمَلِيَّةِ. وَفِيهِ قيام آخَرُ، وَهُوَ أَنْ يُحْمَلَ الْإِيمَانُ عَلَى مَجْمُوعِ الِاعْتِقَادِ وَالْعَمَلِ، ثُمَّ نَصِفَ الْوَلِيَّ بِأَنَّهُ كَانَ مُتَّقِيًا فِي الْكُلِّ. (...) وَأَمَّا الْأَخْبَارُ فَكَثِيرَةٌ،

[48] راجع: معجم مصطلحات العلوم الشرعية، مجموعة من المؤلفين، (الرياض: الطبعة الثانية 1439هـ / 2017م)، ص 1799.

رَوَى عُمَرُ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا فِي اللَّه عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بينهم ولا أموال يتعاطونها، فو اللَّه إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاس» ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ. وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «هُمُ الَّذِينَ يُذْكَرُ اللَّه تَعَالَى بِرُؤْيَتِهِمْ» قَالَ أَهْلُ التَّحْقِيقِ :السَّبَبُ فِيهِ أَنَّ مُشَاهَدَتَهُمْ تُذَكِّرُ أَمْرَ الْآخِرَةِ لِمَا يُشَاهَدُ فِيهِمْ مِنْ آيَاتِ الْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ، وَلِمَا ذَكَرَ اللَّه تَعَالَى سُبْحَانَهُ فِي قَوْلِهِ : "سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ" (الْفَتْحِ: ٢٩)[49].

وجاء في تفسير ابن كثير للآية: "يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ أَوْلِيَاءَهُ هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ، كَمَا فَسّرهُمْ رَبُّهُمْ، فَكُلُّ مَنْ كَانَ تَقِيًّا كَانَ لِلَّهِ وَلِيًّا : أَنَّهُ (لَا خَوْفٌ عَلَيْهِم) أَيْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَ مِنْ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ، (وَلا هُمْ يَحْزَنُون) عَلَى مَا وَرَاءَهُمْ فِي الدُّنْيَا. وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ :أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذُكِر اللَّهُ[50]. ويفسّر الطّبري الآية بقوله: أَلَا

[49] الرازي، مفاتيح الغيب، 275/17.

[50] ابن كثير، تفسير القرءان العظيم، 278/4.

إِنَّ أَنْصَارَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ رَضِيَ عَنْهُمْ فَآمَنَهُمْ مِنْ عِقَابِهِ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا. وَالْأَوْلِيَاءُ جَمْعُ وَلِيٍّ، وَهُوَ النَّصِيرُ"[51].

ويرى الدّكتور علا العفيفي أنّ مفهوم الولاية كان موجودًا في الإسلام قبل ظهور التصوّف وأولياء الصوفية، بل ظهر منذ بداية الدعوة إلى الإسلام. وكان معنى الولاية هو نصرة الله للعبد، ودعمه لدين الله. فالأشخاص الذين كانوا يجاهدون في سبيل الله كانوا أولياء الله، وكذلك الذين تعرضوا لاضطهاد من قبل قريش وتعرضوا للأذى بسبب إسلامهم، جميعهم كانوا أولياء وفقًا للمراجع القرآنية التي تحدثت عنهم[52]

فمن خلال ما أوردنا من أقوال العلماء في معنى الوليّ وتفسيرهم للآية نستنتج أنّ صفة "الوليّ" في الكتاب والسّنّة ينطبق على كلّ شخص يحبّ الله ويؤمن به ويتّقيه، وبالتّالي يحبّه الله أيضا ويكتب له التّوفيق والبشارة والنّجاة في الدّنيا والآخرة. كما نلاحظ أنّه لا

[51] الطبري، جامع البيان، 208/12.

[52] علاء العفيفي، التصوّف الثورة الروحيّة في الإسلام، (بيروت: دار الشعب للطباعة والنشر)، ص 284.

يوجد تطرّق إلى خصوصيّات الأولياء ومراتبهم ومقاماتهم أبعد مما ذكرنا آنفا من أنّ لهم الأمن والبشرى في الدّنيا والآخرة، وأغلب من فسّروا لفظ (البشرى) هنا قالوا بأنّها الرؤيا الصّالحة، ومن ذلك ما أورده السّيوطي في الدّرّ المنثور "عن أبي هُرَيْرَة رَضِي الله عَنهُ عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِي قَوْله: {لَهُم الْبُشْرَى فِي الْحَيَاة الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَة}، قَالَ: هِيَ فِي الدُّنْيَا الرُّؤْيَا الصَّالِحَة يَرَاهَا العَبْد الصَّالح أَو ترى لَهُ وَفِي الْآخِرَة الْجنَّة"[53]. وعلى هذا، فمفهوم الولاية لحدّ الآن عام يمكن للجميع الوصول إليه بمجرّد الاتّصاف بالصّفات المذكورة في الآيات، وكما يقول ابن تيمية: "وإذا كان أولياء الله هم المؤمنون المتقون، فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى، فمن كان أكمل إيمانا وتقوى، كان أكمل ولاية لله، فالناس متفاضلون في ولاية الله عز وجل، بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى"[54]. ومع ذلك، فإنّ للسّادة الصّوفيّة وجهة نظر أخرى في مفهوم الولاية، حيث غاصوا بشكل أعمق في الآيات والأحاديث

[53]السيوطي، الدر المنثور، 374/4.

[54]ابن تيمية، الفرقان، 28.

واستنبطوا منها جوانب أخرى للولاية وصفات أخرى للوليّ، وبالتّالي أصبح لهم مفهوم أخصّ للولاية والوليّ نتناولها في المبحث التّالي.

2.2. دلالات لفظ الوليّ في أعمال الصوفية الأوائل:

إذا استقرينا كلام الصّوفيّة في هذا الشأن وتعريفاتهم الواردة فيه نجدها كثيرة ومختلفة، فكلّ ينظر إلى المسألة من ذوقه ومشربه الخاصّ، وهذا شأنهم مع كلّ المصطلحات الصّوفية تقريبا. ولكنّنا بالنّظر إلى تلك التّعريفات نلاحظ أنّها تنصبّ جميعا في بوتقة واحدة: فهي تتفق على أنّ الولاية مرتبة يختصّ بها الله سبحانه لمن يشاء من عباده فضلا منه وهبة. فها هو القشيري يرى أنّ معنى الوليّ يتضمّن مفهومين: الأول فعيل بمعنى مفعول، ويُشير إلى الشخص الذي يتولّى الله سبحانه أمره. كما قال الله تعالى: "وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ"، وذلك يعني أنه لا يكله إلى نفسه للحظة، بل يتولاه برعايته. أما الثاني فهو فعيل بمعنى فاعل، ويُشير إلى الشخص الذي يتولى عبادة الله تعالى وطاعته، حيث يعبد الله بالتوالي دون أن يرتكب المعاصي. وكلا الوصفين يجب على الوليّ؛ فيقوم بحقوق الله تعالى بالتحقيق والاستيفاء، ويظل محفوظًا

بحفظ الله تعالى له في الأوقات السعيدة والصعبة[55]. ويشير الهجويري في كتابه إلى أن لله عز وجل أولياء مخصّصين بمحبته وولايته، وهم ولاة ملكه الذين اختصهم وجعلهم آية لظهور قوته، ومنحهم أنواعًا مختلفة من الكرامات، وطهّرهم من العيوب البشرية، وحررهم من سيطرة النفس. فلا همّ لهم سواه، ولا أنس لهم إلّا معه. وأنّ هؤلاء كانوا موجودين في الأجيال السابقة، وسيبقون حتى يوم القيامة... الخ[56]. وقد سبق وأوردنا الكثير من أقوالهم في تعريف الوليّ في المبحث الأوّل ما يغني عن تكرار ذكرها هنا.

ونستنتج ممّا سبق أنّ الصّوفية الأوائل نظروا إلى الولاية على أنّها علاقة متبادلة بين العبد والرّبّ؛ فالعبد يتولّى الرّبّ باتباع الأوامر وترك النّواهي، والرّبّ يتولّى العبد بتقريبه إلى حضرته وإمداده بالكرامات، ويظهر ذلك جليّا في قوله تعالى: "والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا وإنّ الله لمع المحسنين"[57]. وقوله تعالى في الحديث

---

[55] القشيري، الرسالة، 416/2.

[56] الهجويري، كشف المحجوب، 446/2.

[57] العنكبوت، 69.

القدسي: "مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ :كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأعطينَّه، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأعيذنَّه...الحديث"[58]. وهم إلى هذا الحدّ لم يخرجوا عن حدود قوله تعالى: "ألا إنّ أولياء الله ..." الآيات[59]، فكانت المعادلة هكذا: العبد (الإيمان+التّقوى) + الرّبّ (الأمان+البشرى) = الولاية. ولو وقفوا هنا لكانوا كمثل العامّة في فهمهم للولاية، ولكانت هذه الأخيرة كما قلنا سابقا أمرا في متناول الجميع، ولكنّهم خاضوا أكثر في الطّرف الأوّل من المعادلة، وبحثوا في حقيقة الإيمان والتّقوى، وعلاقتهما بالأعمال الباطنيّة للعبد، ووصلوا إلى أنّ مجرّد الإيمان والتّقوى الظاهريين غير مقصودين في الآية، بل المعتبر ما كان صادرا من القلب الخالص التجرّد عما سوى الله سبحانه، وهو أمر لا يسهل الوصول إليه، بل يحتاج لمجاهدات ورياضات وما

---

[58]أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، (دمشق: دار ابن كثير، دار اليمامة / الطبعة الخامسة) 384/5.

[59] سورة يونس، الآية 62.

ينتج عن ذلك من تخلية وتحلية وغير ذلك من صفات كثيرة دوّنوها في كتبهم. كما خاضوا أيضا في الطّرف الثّاني من المعادلة، وبحثوا في المقصود بالأمن والبشرى، وهم في ذلك يرجعون إلى قصص الأولياء الواردة في النّصوص الدّينيّة أوّلا وإلى الأحداث الواقعة لأولياء هذه الأمّة ثانيا، ومن هنا أثبتوا كرامات الأولياء ومراتبهم وغير ذلك من خصائصهم.

ولكن، برز من المتأخّرين أعلام توغّلوا في مسألة الولاية إلى أبعد الحدود، وقالوا فيها بما لم يقله الأوائل، وأحدثوا ضجّة في العالم الإسلامي لا يزال صداها مستمرّا إلى يومنا هذا. وقد ظهرت إرهاصات هذا الاتّجاه قديما عند الحكيم التّرمذي (ت: 320هـ) في كتابه (ختم الأولياء) وبلغت أوجها عند ابن عربي الحاتمي (ت: 638هـ) وأتباعه. وأمّا التّرمذي فلم يلق آراؤه قبولا لدى معاصريه، بل شدّدوا عليه النّكير حتّى رُمي بالزّندقة وأُخرج من بلده[60]. وأمّا ابن عربي فقد وسّع البحث في

[60] راجع: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م) 13/ 441.

مفهوم الولاية[61]، وخاض في المفاضلة بين الولاية والنبوّة وختم الولاية وغير ذلك من أمور ليس لها أصل ظاهر في الشّرع، ممّا أدّى إلى حدوث تصادمات بينه وبين أهل الظّاهر من الفقهاء وأشباههم الذين اعتبروه وأمثاله مبتدعين[62] وفي أسوء الأحوال زنادقة وكفرة. وأرى أنّ الصّحيح في موقف ابن عربي من مسألة الولاية والمفاضلة بينها وبين النبوّة ما قاله الدكتور علاء عفيفي في كتابه إذ يقول: " يرى ابن عربي أنّ كلّ رسول وكلّ نبيّ فإنما هو وليّ أوّلا ورسول أو نبيّ ثانيا، وأنّ كل رسول ونبيّ من حيث هو وليّ أفضل منه من حيث هو رسول أو نبي. ومن ظنّ أن ابن عربي يقول بأفضليّة الوليّ على الرّسول أو النبيّ إطلاقا -بمعنى أنّ كل ولي أفضل من كل رسول أو نبي- فقد أخطأ فهمه[63].

وعموما، فالولاية عند الصوفية هي نفسها الولاية في الكتاب والسّنّة، من حيث حقيقتها وخصائصها، ولكنّ الخلاف في فهم الآية أدّى إلى وجود نظرتين مختلفتين

---

[61] للمزيد حول آراء ابن عربي والترمذي في الولاية يراجع: العفيفي: التصوّف الثورة الروحية، 297-299.

[62] راجع: ابن تيمية، الفرقان، ص 92.

[63] علاء العفيفي، التصوّف الثورة الروحيّة في الإسلام، ط دار الشعب للطباعة والنشر، بيروت، ص 296.

للولايــة عنــد المسـلمين: فبينمــا العامّــة (وأقصــد بهــم غيــر الصّــوفيّة) يرونهــا أمــرا عامّــا بســيطا، تعتبرهــا الصّــوفيّة أمــرا خاصّــا فــي غايــة التّعقيــد. وشخصــيّا، أرى أنّ الخــلاف فــي هــذه المســألة هــيّن، لــم يكــن ليحتــاج لكــلّ هــذا الجــدال المثــار حولهــا، ولكــنّ العامّــة لمــا رأوا الصّــوفيّة وهــم يفصّــلون فــي المســألة أكثــر فــأكثر، ويــذكرون مــن صــفات الأوليــاء ومــراتبهم وعلــوّ منــزلتهم مــا يبهــر العقــول، وكــادت الولايــة تكــون حكــرا علــى الصّــوفية وحــدهم دون غيــرهم؛ فهــم المتّصــفون بصــفاتها اللّازمــة، وعلــى أيــديهم وحــدهم تظهــر الكرامــات، ولا يعرفــون وليّــا لله إلّا وعــدّوه مــنهم، كــلّ هــذا وأكثــر جعلــت العامّــة تثــور علــى الصّــوفيّة وتنكــر علــيهم بعــض اعتقــاداتهم هــذه. وفيمــا اعتــدل بعضــهم فــي الخصــومة غــلا الــبعض الآخــر فــي التّشــنيع علــى الصّــوفيّة حتّــى وصــل الأمــر إلــى اتهــامهم بالزّندقــة والكفــر، ولا يــزال هــذا الخــلاف مستمرّا إلــى يــوم النّــاس هــذا. ومــن هنــا ناسـب الحــديث عــن بعــض مســائل الولايــة التــي خاضــت فيهــا الصّــوفيّة دون غيــرهم، كصــفات الــوليّ، ومراتــب الأوليــاء، والفــرق بــين رتبتهم ورتبة الأنبياء.

3- صفات الوليّ ومراتب الأولياء عند الصّوفية:

1.3. صفات الوليّ:

إذا تتبّعنا أقوال الصّوفية في صفات الوليّ وخصائصه يمكننا حصرها بإيجاز في الصّفات الأربعة التّالية:

1. **الوليّ عبد يؤّيده الله وينصره**: وبهذا المعنى تفسّر الآيات والأحاديث الواردة في الأولياء والتي ذكرناها خلال البحث، فهي صفة قديمة للوليّ عامّة في جميع المؤمنين المتّقين، فهم جميعا أولياء الله كما أنّ غيرهم أولياء الشيطان.

2. **الوليّ عبد يكرمه الله**: ويظهر هذا الإكرام بأشكال شتّى أبرزها تلك الخوارق للعادة التي يظهره الله على أيديهم، وفي القرءان والسنّة الكثير من قصص الأولياء وكراماتهم، فليس هناك مجال للتّشكيك في جوازه وإمكانيّة وقوعه. ومع ذلك فقد طعن بعض النّاس في كرامات الأولياء وأنكروها وأكثروا الكلام فيها، ما أدّى الصّوفيّة إلى الرّدّ عليهم وبسط الكلام فيها في كتبهم، ومن ذلك قول الكلاباذي (ت:384هـ):

أجْمَعُوا على إِثْبَات كرامات الْأَوْلِيَاء وَإِن كَانَت تدخل فِي بَاب المعجزات كالمشي على المَاء وَكَلَام الْبَهَائِم وطي الأَرْض وَظُهُور الشيء فِي غير مَوْضِعه وَوَقته. وَقد جَاءَت الْأَخْبَار بهَا وَصحت الرِّوَايَات ونطق بهَا التَّنْزِيل من قصَّة الَّذِي عِنْده علم من الْكتاب فِي قَوْله تَعَالَى: "أَنا آتِيك بِهِ قبل أَن يرْتَد إِلَيْك طرفك"، وقصة مَرْيَم حِين قَالَ لَهَا زَكَرِيَّا: أَنى لَك هَذَا؟ قَالَت هُوَ من عِنْد الله، وقصة الرجلَيْن اللَّذين كَانَا عِنْد النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم ثمَّ خرجا فأضاء لَهما سوطاهما وَغير ذَلِك. وَجَوَاز ذَلِك فِي عصر النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَغير عصره وَاحِد؛ وَذَلِكَ أَنه إِذا كَانَت فِي عصر النَّبِي للنَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم على معنى التَّصْدِيق لَهُ كَانَ فِي غير عصره على معنى التَّصْدِيق. وَقد كَانَ بعد النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم لعمر بن الْخطاب حِين نَادَى سَارِيَة قَالَ لسارية يَا سَارِيَة بن حصن الْجَبَل الْجَبَل وَعمر بِالْمَدِينَةِ على الْمِنْبَر وسارية فِي وَجه الْعَدو على مسيرَة شهر، وَالْأَخْبَار فِي هَذَا كَثِيرَة وافرة[64].

[64] الكلاباذي، التعرّف، 71.

3. **الـوليّ عبـد فـان فـي الله**: والفنـاء فـي الله هـو غايـة الصّـوفي، ويـرد هـذا المعنـى كثيـرا فـي كتـب القـوم، ويعبّـرون عنـه بعبـارات شـتّى كلّهـا تنصـبّ فـي دائـرة واحـدة، وهـي أن تمـلأ محبّـة الله قلبـه فـلا يـرى غيـر الله سـبحانه. فـالوليّ يتجـرّد مـن الـدّنيا وشـهواتها، ويفـارق الـنّفس وحظوظهـا، ويـنغمس فـي بحـر التّوحيـد المحـض حتّـى تنمحـي ذاتـه، فـلا يتحـرّك إلا بـالله ولا يسـكن إلّا بـه ولا يخطـر علـى بالـه غيـره، وحينهـا يكـون عبـدا ربّانيـا يقـول للشيء كن فيكون.

4. **الـوليّ عبـد محفـوظ مـن مخالفـة الشّـرع**: أي لا يـأتي منـه مـا يخـالف الشّـرع بحفـظ الله إيّـاه مـن ذلـك. وقـد أثـار هـذا الوصـف جـدلا واسـعا بـين الصّـوفية وغيـرهم، فالعامّـة اتّهمـوا الصّـوفيّة بـأنّهم يـدّعون العصـمة لأوليـائهم، والعصـمة صـفة خاصّـة بالأنبيـاء لا يشـاركهم فيهـا غيـرهم. وردّ الصّـوفية علـيهم بـأنّ الحفـظ والعصـمة مختلفـان، فالعصـمة واجبـة للأنبيـاء، والحفـظ لـيس واجبـا للأوليـاء، بـل هـو محـض فضـل مـن الله يؤتيـه مـن يشـاء مـن عبـاده. وأيضـا، فـالنّبيّ لعصـمته لا يرتكـب معصـية قـطّ، والأوليـاء قـد يرتكبـون المعاصـي ولكـن الله يحفظهـم مـن الإصـرار

عليها ويداومون على التّوبة في كلّ أحوالهم. وفي بيان هذا يقول الإمام القشيري: "ومن شرط الولي أَن يَكُون محفوظا كَمَا أَن من شرط النَّبِي أَن يَكُون معصوما، فَكُل من كَانَ للشرع عَلَيْهِ اعتراض فَهُوَ مغرور مخدوع"[65]. ويقول أيضا: "فَإِن قيل: فهل يَكُون الولي معصوما؟ قيل إِمَّا وجوبا كَمَا يقال فِي الأنبياء فلا، وإما أَن يَكُون محفوظا حَتَّى لا يصر عَلَى الذنوب إِن حصلت هنات أَوْ آفات أَوْ زلات فلا يمتنع ذَلِكَ فِي وصفهم، ولقد قيل للجنيد: العارف يزني يا أبا القاسم؟ فأطرق مليا ثُمَّ رفع رأسه وَقَالَ: "وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا" (الأحزاب: ٣٨)"[66]. هذا، ونكتفي بهذا القدر في ذكر الصفّات، وللاستزادة يرجى الرّجوع إلى المراجع المذكورة في الهامش[67].

2.3. مراتب الأولياء عند الصوفية الأوائل:

---

[65] القشيري، الرسالة، 416/2.

[66] المرجع السابق، 524.

[67] للمزيد يرجع إلى: أبي العلاء العفيفي، التصوّف الثورة الروحية في الإسلام، 284؛ الهجويري، كشف المحجوب، 451/2.

للصّوفية تصنيف خاصّ بمراتب الأولياء يختصون بها دون غيرهم، فالأولياء عندهم ليسوا في مرتبة واحدة، بل يتفاضلون فيما بينهم، أعلاهم مرتبة أمكنهم في الولاية وأقربهم إلى الله. يقول الهجويري: "أمّا أهل الحلّ والعقد وقادة حضرة الحقّ جل جلاله: فثلاثمائة يدعون (الأخيار)، وأربعون آخرون يسمّون (الأبدال)، وسبعة آخرون يقال لهم (الأبرار)، وأربعة يسمون (الأوتاد)، وثلاثة آخرون يقال لهم (النّقباء)، وواحد يسمّونه (القطب) و (الغوث)[68]". وينبغي التّنبيه إلى وجود خلاف بين الصّوفيّة أنفسهم في المسمّيات والأعداد والتّرتيب، فتجد عند المتأخّرين مثلا وعند ابن عربي خاصّة تقسيما أوسع مغايرا لهذا الذي ذكرناه، فيقسّمهم إلى رجال العدد ورجال المراتب، وكلّ منهما يندرج تحته أكثر من خمسة عشر صنفا من الأولياء، وعلى رأس رجال العدد يوجد: القطب، ثمّ الإمامان، ثمّ الأوتاد الأربعة، والأبدال السّبعة، والنّقباء الاثنا عشر ...الخ، وعلى رأس رجال المراتب يوجد الملاميّة، والفقراء، والعبّاد، ويضع الأولياء في

[68] الهجويري، كشف المحجوب، 447/2.

المرتبة الخامسة عشر ويقسّمهم إلى أنبياء وصدّيقين وشهداء وصالحين ... الخ[69].

وتعدّ هذه التّقسيمات ممّا نقمها عليهم المنكرون، فيقولون بأنّها بدعة؛ إذ لم يرد في الكتاب ولا في السّنّة ولا في أقوال الصّحابة والتّابعين نصّ بها، ويضعّفون كلّ الأحاديث الواردة في هذا الباب أو يفسّرونها بما لا يتوافق مع مراد الصّوفية. ويقولون بأنّه لم يرد قطّ ذكر في أنّ للأولياء غوثا وأقطابا وأوتادا وأبدالا وغير ذلك ممّا أحدثته الصّوفيّة من المصطلحات[70]. ويردّ الصّوفيّة بأنّ هذه الرّتب وإن لم يرد في القرءان بألفاظها فإنّها لا تخالفه، أضف إلى ذلك ورود أحاديث عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ذكرت فيها هذه المراتب وأصحابها، بل وأعدادهم ومواطنهم. وقد أفرد الإمام السّيوطي كتابا فريدا في هذا الباب يقول في مقدّمته: "فقد بلغني عن بعض من لا علم عنده إنكار ما اشتهر عن السادة الأولياء من أنّ منهم أبدالا ونقباء ونجباء وأوتادا وأقطابا، وقد وردت الأحاديث والآثار بإثبات ذلك، فجمعتها في هذا

[69]انظر: سعاد حكيم، المعجم الصّوفي، (بيروت: دندرة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى)، ص 516.

[70]راجع: كتب ابن تيمية ك (الفرقان بين أولياء الرّحمن وأولياء الشيطان) و (مجموع الفتاوى /11).

الجـزء لتسـتفاد ولا يعـول علـى إنكـار أهـل الفسـاد، وسـمّيته (الخبـر الـدّال علـى وجـود القطـب والأوتـاد والنجبـاء والأبـدال) والله الموفّـق[71]. كمـا أورد فـي تفسـيره لآيـات سـورة يـونس الكثيـر مـن الأحاديـث المتعلّقـة بهـذا الموضـوع، ونـذكر منهـا علـى سـبيل المثـال حـديث الطَّبَرانِـيُّ فـي "الأوْسَـطِ" بِسَـنَدٍ حَسَـنٍ عَـنْ أنَـسٍ قـالَ: قـالَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ: «لَـنْ تَخْلُـوَ الأرْضُ مِـن أرْبَعِـينَ رَجُـلًا مِثْـلَ خَلِيـلِ الـرَّحْمَنِ، فَـبِهِمْ تُسْـقَوْنَ وبِهِـمْ تُنْصَـرُونَ، مـا مـاتَ مِـنهم أحَـدٌ إلّا أبْـدَلَ اللَّهُ مَكانَـهُ آخَـر» وأخْـرَجَ الطَّبَرانِـيُّ فـي "الكَبِيـرِ" عَـنْ عُبـادَةَ بْـنِ الصّـامِتِ قـالَ: قـالَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ: «الأبْـدالُ فـي أُمَّتِـي ثَلاثُـونَ؛ بِهِـمْ تَقُـومُ الأرْضُ، وبِهِـمْ تُمْطَـرُونَ، وبِهِـمْ تُنْصَـرُونَ». وأخْـرَجَ أحْمَـدُ فـي "الزُّهْـدِ"، والخَـلّالُ فـي "كَرامـاتِ الأوْلِيـاءِ" بِسَـنَدٍ صَـحِيحٍ، عَـنِ ابْـنِ عَبّـاسٍ قـالَ: "مـا خَلَـتِ الأرْضُ مِـن بَعْـدِ نُـوحٍ مِـن سَـبْعَةٍ يَـدْفَعُ اللَّهُ بِهِـمْ عَـنْ أهْلِ الأرْضِ"[72].

3.3. في التّفرقة بين النبوّة والولاية:

[71] جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الخبر الدّال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال، (القاهرة: مكتبة القاهرة، الطبعة الرابعة) ص 3.

[72] السيوطي، الدر المنثور، 765/1.

بعض متأخري الصّوفيّة خاضوا في المفاضلة بين الولاية والنبوّة، ومن أبرزهم ابن عربي الحاتميّ الذي أشرنا إليه سابقا خلال هذا البحث، ومدى التباس كلامه على العامّة حتّى كفّره البعض لذلك. وأمّا المتقدّمون فلم يخوضوا في المسألة خوض المتأخّرين، وإنّما تكلّموا فيها بقدر ما يتبيّن به الفرق بين المقامين ويحفظ للنبوّة مكانتها؛ فأثبتوا أنّ الوليّ مهما علا درجته فلن يصل أبدا إلى درجة النبيّ، إذ من حيث تنتهي الولاية تبدأ النبوّة، وأنّ بين المفهومين عموما وخصوصا مطلقا، فكلّ نبيّ وليّ والعكس غير صحيح. يقول القشيري: "فأما رتبة الأولياء فلا تبلغ رتبة الأنبياء عَلَيْهِم السَّلام للإجماع المنعقد عَلَى ذَلِكَ، وَهَذَا أَبُو يَزِيد البسطامي سئل عَن هذه المسألة، فَقَالَ : مثل مَا حصل للأنبياء عَلَيْهِم السَّلام كمثل زق فِيهِ عسل ترشح منه قطرة فتلك القطرة مثل مَا لجميع الأولياء وَمَا فِي الظرف مثل ما لنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم". [73] وها هو الهجويري يؤكّد هذا الإجماع ويشدّد بالإنكار على غلاة المتصوّفة في عصره الّذين كان يفضّلون الأولياء على الأنبياء، ويقول في ذلك: "اعلم أن

[73] القشيري، الرسالة، 523/2.

جملة مشايخ هذه الطريقة مجمعون على أن الأولياء في جميع الأوقات والأحوال متابعون للأنبياء ومصدقون لدعوتهم. والأنبياء أفضل من الأولياء، لأن نهاية الولاية بداية النبوة. وجميع الأنبياء أولياء، ولكن لا يكون من الأولياء نبي ... الخ".[74]

هذا، والصوفية كانوا ولا زالوا على هذه العقيدة، وحتّى المتأخرون منهم أمثال ابن عربي الذين أثاروا جدلا في هذه المسألة كانوا تبعا للأوائل في هذا الإجماع، بيد أنّهم عبّروا عنها بشكل التبس على بعض الصّوفية فضلا عن غيرهم؛ فهم وإن أثبتوا للوليّ نبوّة عامّة فالوليّ عندهم لا يفضل النبي أبدا، ونبوته العامّة هي إرث لنبوّة النّبيّ، وكلّ ما يناله ليس من جهة نبوّة نفسه بل من جهة نبوّة نبيّه. وفي السّطور القادمة نختم البحث بذكر أبرز النّتائج التي توصّلنا إليها.

[74] الهجويري، كشف المحجوب، 474/2.

خاتمة:

وفي الختام نورد ملخّصا لأبرز نتائج هذا البحث، ونسردها بالشّكل التّالي:

1- مفهوم الولاية حسب ظاهر الكتاب والسّنّة عامّ بسيط؛ إذ ينطبق على كلّ شخص يحبّ الله ويؤمن به ويتّقيه، وبالتّالي يحبّه الله أيضا ويكتب له التّوفيق والبشارة والنّجاة في الدّنيا والآخرة. كما نلاحظ أنّه لا يوجد تطرّق في خصوصيّات الأولياء ومراتبهم وغيرها من المسائل.

2- مفهوم الولاية عند الصّوفية يتشكّل من مزج بين المعاني اللغويّة والنّصوص الدّينيّة الواردة في الأولياء وصفاتهم، بالإضافة إلى تجاربهم الشّخصيّة الذّوقيّة.

3- أغلب أقوال الصّوفيّة في الوليّ والولاية تندرج تحت المعاني اللّغويّة: المطيع، القريب، المحبّ، المنعم عليه. ومنها يفهم كلّ ما يتّصف به الأولياء من قدرة على التصرّف في الخلق، وخرق العادات، والإغاثة، واستجابة الدّعاء، وغير ذلك من الخصوصيات.

4- متـأخّرو الصّـوفية فـي فهمهـم للولايـة انطلقـوا مـن الأسـس التـي ذكرتهـا الآيـة للولايـة (الإيمـان والتّقـوى) وتجاوزوهـا إلـى الخـوض فيمـا هـو أدقّ منهـا مـن صـفات وصـفوا بهـا الـوليّ كالفنـاء والمراقبـة والشـهود وغيـر ذلـك مـن المقامـات والأحـوال، وهـي أمـور ورثوهـا مـن المتقـدّمين. كمـا خاضـوا فـي المفاضـلة بـين الولايـة والنبـوّة وخـتم الولايـة وغيـر ذلـك مـن أمـور لـيس لهـا أصـل ظـاهر فـي الشّـرع، ممّـا أدّى إلـى حـدوث تصـادمات بيـنهم وبـين بعـض أهـل الظّـاهر مـن الفقهـاء وأشـباههم الـذين اعتبـروهم مبتدعين وفي أسوء الأحوال زنادقة وكفرة.

5- الصّـوفية لـم يبتـدعو مفهومـا جديـدا للولايـة، بـل تتبعـوا دلالات لفـظ الولايـة ومشـتقّاتها فـي الكتـاب والسـنة وصـاغوا منهـا مفهومـا شـاملا لكـلّ جزئياتهـا، كمـا أثبتـوا للأوليـاء صـفات وخصـائص ومراتـب تجعلهـم مـن صـفوة الصّـفوة، ممّـا جعـل للولايـة مفهومـا أخـصّ بكثيـر مـن فهـم الفقهاء والمفسّرين لها.

هـذا، ونرجـو أنّ نكـون وفّقنـا مـن خـلال هـذا البحـث فـي تسـليط شـيء مـن الضّـوء علـى دلالات لفظـي "الـولي" و"الأوليـاء" عنـد اللغـويين والصّـوفية وغيـرهم مـن العلمـاء،

فقد أثبتنا بالأدلّة مدى عمق جذور فهم الصوفية للولاية في الكتاب والسّنّة وكلام العرب. كما تبيّن من خلال البحث أنّ التّصوّف وإن تأثّر في العصور المتأخّرة بشيء من النّظريّات الفلسفيّة غير الإسلاميّة إلّا أنّ أصوله ومصطلحاته إسلاميّة وعربيّة بحتة، ويظهر ذلك جليّا بالرّجوع إلى كتب المتقدّمين. وأنصح زملائي الباحثين في مجال الدّراسات الإسلاميّة بشكل عامّ أن يعطوا لهذا الموضوع مزيدا من العناية، لأهمّيته أولا، ولكونه واحدا من أكثر المسائل الجدليّة في زمننا الحاضر.

قائمة المراجع:

- القرءان الكريم.

1- فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي، مفاتيح الغيب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠ هـ.

2- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرءان العظيم، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م.

3- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الدّرّ المنثور في التفسير بالمأثور، بيروت: دار الفكر.

4- الطبري، أ بو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي. الجيزة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 2001م.

5- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، دمشق: دار ابن كثير / دار اليمامة. الطبعة الخامسة.

6- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، بيروت: دار ومكتبة الهلال.

7- الأزهري الهروي، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١ م.

8- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٩٨٧ م.

9- ابن فارس القزويني الرازي، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٧٩ م.
10- ابن سيده المرسى، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠ م.
11- ابن منظور الأنصاري، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت: دار صادر، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ.
12- الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٥ م.
13- الزَّبيدي، محمّد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: جماعة من المختصين، الكويت: إصدارات وزارة الإرشاد والأنباء - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، أعوام النشر: ١٩٦٥ / ٢٠٠١ م.
14- القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن، الرسالة القشيرية، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف، القاهرة: دار المعارف.
15- الكلاباذي، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق، التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق: محمد عبد اللطيف الطيب، بيروت: دار الكتب العلمية، 1434 هـ.
16- الهجويري، أبو الحسن علي بن عثمان، كشف المحجوب، ترجمة: إسعاد عبد الهادي قنديل، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2007 م.

17- السيوطي، جلال الدين عبد الرّحمن. الخبر الدّال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال، القاهرة: مكتبة القاهرة، الطبعة الرّابعة.
18- العفيفي، علاء، التصوّف الثورة الروحيّة في الإسلام، بيروت: دار الشعب للطباعة والنشر.
19- حكيم، سعاد، المعجم الصّوفي، دندرة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.
20- معجم مصطلحات العلوم الشرعية، مجموعة من المؤلفين، الرياض: مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، الطبعة الثانية، 1439 هـ.
21- ابن تيمية، تقي الدّين أحمد، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، دمشق: مكتبة دار البيان، ١٤٠٥ هـ.
22- ابن تيمية، تقي الدين أحمد، مجموع الفتاوى، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.